مجلة العلوم الإسلامية
تأسست عام 2011م

نظم الدرر

في فرائد أسما السور أسرارها البلاغية وإعجازها المقاصدي

إعداد

د. محمود علي عثمان عثمان

أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية

كلية التربية، جامعة الملك فيصل

Research Summary

This research is marked by (Nazm alddurar in the unique names of surah's their rhetorical secrets and their intent-based maqasidi miracles), the study aimed at highlight the phenomenon of semantic mastery of the unique names of surah's, to achieve the aim of the study, the researcher used the linguistic analytical method and the descriptive method, so that he observes the phenomenon of semantic mastery the unique names of surah's, to highlight the justification of the semantic mastery context and the secrets of language and rhetoric, and to reveal its significance to the purposes of the Qur'an and its Surah's, the study concluded in its results to come up with a Quranic theory about the unique names of surah's, and its significance to the purposes of the Qur'an and its surah's, this phenomenon is related to the relations between the successive structures of the whole surah according to: the unique significance of the name of the surah, both dictionary and voice, of the context of the general surah that it called, and the purpose of the unique surah, the study recommended the continuation of monitoring the phenomenon of semantic mastery of Quranic Uniques mentioned in other subjects.

Keywords: The semantic mastery, Uniques, purpose, surah, and the linguistic and rhetorical miracles.

الملخص:

هدفت الدراسة الكشف عن ظاهرة التمكّن الدلالي لفرائد أسماء السور، وهي ظاهرة تعكس إعجازه اللغوي والبياني في أسلوبه، ولتحقيق هذا الهدف فقد سلك الباحث المنهج التحليلي اللغوي والوصفي، بحيث يرصد هذه الظاهرة مبرزا مسوّغات التمكّن الدلالي لهذه الفرائد كأسماء للسور الواردة فيها وأسرارها اللغوية والبيانية، والكشف عن دلالتها على مقاصد القرآن وسوره، وقد خلصت الدراسة في نتائجها إلى الخروج بنظرية قرآنية وهي ظاهرة التمكّن الدّلالي لفرائد أسماء السور- بحيث لا يغني غيرُها من مرادفاتها غناءَها اسما للسورة- ودلالتها على مقاصد القرآن وسوره، حيث ترتبط هذه الظاهرة بالعلاقات بين البُنى المتوالية للسورة بأكملها على وفق: مناسبة دلالة الفريدة الواردة اسما للسورة معجميا وصوتيا لسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة الفريد، وهذه العلاقات مجتمعة مكّنتها دلاليا من التفرّد في سياقها وفي وَسْمِها اسما للسورة، كما بيّنت الدراسة أنّ فرائد أسماء السور شكّلت دلالات رمزية تؤدي بدورها وظيفتين، وظيفة مترجِمة عن مقصد فريد للسورة ومُجلّية عن مضامينها، ووظيفة انفعالية تستثير نفسية السامع وتستحوذ عليه، وأوصت الدراسة بمواصلة رَصْد ظاهرة التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية المتعلقة بجوانب أخرى غير جانب ورودها أسماءً للسور.

الكلمات المفتاحية: التمكّن الدّلالي، الفرائد، المقصد، السورة، الإعجاز اللغوي والبياني.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وأصلي وأسلّم على المبعوث رحمة للعالمين نبيّنا وقدوتنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنّ نظم القرآن الكريم وأسلوبه فريد قد جاء في ذروة الفصاحة والبلاغة، والكلمة الفريدة في القرآن ذات بناء وتنسيق فني وُضِعت في الموضع الذي أُعد لها بحيث لا يغني غيرُها غناءَها في سياقها.

والفرائد كما سمّاها القدماء: جمع فريد وفريدة، مأخوذة من (فرد) وهو أصل صحيح يدلّ على وُحْدة، والفريد: الدّرّ إذا نُظِم وفُصِل بَينَه بغَيرِه، وهو الذي لا مثيل له في جَوْدَته، والفَريدُ والفَرائدُ: الشّذْرُ من فضّة الذي يَفْصِل بين اللّؤْلؤ والذهب، وقيل الفَريدُ بغير هاء الجوهرة النفيسة كأَنها مفردة في نوعِها[1]، وأما الفرائد في الاصطلاح فلم يجد الباحث تعريفا لها يدل على مضمونها ويجمع جوانب الظاهرة كلها، يقول الراغب الأصفهاني: "الفَرْدُ: الذي لا يختلط به غيره، فهو أعمّ من الوتر وأخصّ من الواحد"[2]، وهو تعريف يطغى عليه الجانب اللغوي.

وبهذا يرى الباحث أن الفرائد القرآنية هي: الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أيّ صورة من صورها اللفظية، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها، ولم تتكرر في سياق آخر مشابه لسياقها، ولا يسدّ غيرُها مما يقترب من دلالتها العامة مسدّها في موضعها، فاتّسقت بذلك دلالتها من موقعها في سياقها.

---

(١) انظر مادة (فرد) في: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/ ٥٠٠)، ولسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٣٣١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٦٢٩.

إنّ اسم السورة مترجِم عن مقصودها وغرضها، والمقصد تدور في قطبه كل معاني السورة، يقول ابن القيم رحمه الله: "الأسماء قوالب للمعاني ودالّة عليها، فبينهما ارتباط وتناسبٌ، وللأسماء تأثيرٌ في المسمّيَات، ولِلمُسَمَّيَات تأثُّر عن أسمائها في الحُسن والقبح، والخِفَّة والثِّقَل"(١)، ويقول البقاعي رحمه الله: "إنّ اسم كلّ سورة مُتَرجِم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالا على تفصيل ما فيه"(٢)، وكَشْف الاسم عن مقصد السورة يُعين على معرفة وجوه المناسبات بين آياتها.

سيتناول البحث الفرائد القرآنية الواردة أسماءً للسور، مبيّنا القيمة الدلالية للفظة الفريدة، وأثرها الدلالي، ثم طبيعة اصطفاء القرآن الكريم لها في ضوء السياق العام وتراكيب الكلام اللغوية؛ لأن للألفاظ علاقة كبيرة بتراكيب اللغة، فهناك ألفاظ لها دلالة خاصة تكتسبها من خلال مادتها وصيغتها وتركيبها وصورتها، وتختص بها عن الألفاظ الأخرى المشتركة معها في الحقل الدلالي، وبهذا يتم الاتّساق الدلالي للألفاظ، ثم بيان وجه دلالة الفريدة على اسم السورة، ووجه دلالتها على مقصد السورة الواردة فيها، وسيقف البحث عند ثلاثة أمثلة (المزمل والمدثر وقريش) يحاول بها إثبات أن الفريدة القرآنية يحتاجها التركيب بعينها وليس إلى غيرها ليكتمل بناء النص الجمالي للقرآن الكريم، ولمّا آثر القرآن الكريم استعمال تلك الفرائد أسماء للسور الواردة فيها دون الألفاظ القريبة من معناها والتي تشترك معها في الحقل الدلالي، كان لذلك الإيثار إعجاز بلاغي، جاءت هذه الدراسة لتكشف عنها مثبتة اتّساق هذه الفرائد دلاليا في موقعها اسما للسورة، ويظهر من ذلك نمط قرآني فريد في تسمية السورة بكلمة فريدة وردت فيها.

ورد عن كثير من المفسّرين وعلماء علوم القرآن كالطبري والسيوطي والزركشي بأن أسماء السور توقيفية، وهذا يحتّم البحث عن سرّ تسمية بعض السور بفرائد وردت فيها، وما الذي جعلها متّسقة دلاليا في

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٣٣٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (١/ ١٨).

سياقها وفي كونها اسما للسورة، فأسماء السور جميعا ثبتت عن النبي ﷺ وأصحابه رضب الله عنهم، وما ورد عن الصحابي رضي الله عنه بخصوص أسماء السور دليل على أنه تلقاه عن النبي ﷺ قال السيوطي: "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"(١).

ترتبط ظاهرة الاتّساق الدلالي في اصطفاء فرائد أسماء السور داخل التركيب النحوي وملاءمتها للمعنى والسياق بالعلاقات بين البُنى المتوالية للسورة بأكملها على وفق: مناسبة دلالة الفريدة الواردة اسما للسورة معجميا لسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة الفريد، وهذه العلاقات مجتمعة جعلتها متّسقة دلاليا من التفرّد في سياقها وفي كونها اسما للسورة.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

أولا: الفوائد العلمية لدراسة الإعجاز اللغوي والبياني والمقاصدي لفرائد أسماء السور

- كونها دراسة في الإعجاز البلاغي والمقاصدي لفرائد أسماء سور القرآن الكريم، فهي على ذلك دراسة قرآنية، وقد تناولْت تفسير فرائد أسماء السور تفسيرا بلاغيا ومقاصديا بمنهج جديد؛ دعت طبيعة البحث العلمي التعريف بهذا المنهج الجديد.

- حلّ المشكلة البحثية المتمثّلة ببيان الأسرار البلاغية للتعبير بفرائد أسماء السور، وأثرها في الكشف عن مقاصد السور.

ثانيا: الفوائد التطبيقية لدراسة الإعجاز اللغوي والبياني والمقاصدي لفرائد أسماء السور

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (١/ ١٨٦).

تسعى هذه الدراسة لفتح آفاق البحث العلمي أمام الباحثين لتقديم بحوث تتناول الفرائد في القرآن الكريم من جوانب أخرى وردت فيها الفرائد القرآنية، كالبحث عن أثر الفرائد في بناء الصورة البيانية في الآية القرآنية، والكشف عن جماليات الفريدة الفاصلة في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول السؤال الرئيس الآتي:

ما الدلالات البلاغية والأسرار البيانية التي جعلت فرائد أسماء السور متّسقة دلاليا في سياقها وفي كونها أسماء للسور الواردة فيها، وما أثرها في الكشف عن مقاصد السور؟

أسئلة البحث:

يمكن معالجة مشكلة الدراسة الحالية من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الذي يمثل مشكلة البحث، ويتفرّع منه السؤالان الآتيان:

- ما الأسرار البلاغية في التعبير بالفرائد القرآنية الواردة أسماءً للسور؟

- ما مدى حاجة مقصد السورة والسياق القرآني إلى فرائد أسماء السور، وهل يُغني غيرُها مما يقترب من دلالتها العامة غناءها في سياقها وفي كونها أسماء للسور الواردة فيها؟

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس وهو الكشف عن ظاهرة الاتّساق الدلالي في اصطفاء فرائد أسماء السور داخل التركيب النحوي وملاءمتها للمعنى والسياق من خلال بيان مسوّغات الاتّساق

الدلالي لهذه الفرائد في سياقها، وبيان سرّ اختيارها أسماءً للسور الواردة فيها، والكشف عن دلالتها على مقاصد السور، وذلك لا يتمّ إلا بتحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

- بيان المقصود بالفرائد القرآنية، ومقصد السورة، وظاهرة الاتّساق الدلالي.

- بيان الأسرار البلاغية في التعبير بالفرائد القرآنية الواردة أسماءً للسور؟

- توضيح مدى حاجة مقصد السورة إلى فرائد أسماء السور، وبيان أثرها في الكشف عن مقاصد السور.

مصطلحات البحث

أولا: مقاصد السور

مقصد السورة هو: مغزى السورة وغايتها الخفيّة الجامعة لمعانيها ومضمونها، ولا يُطّلع عليها إلا بعد استيفاء الكلام والتدبّر فيه(١).

ثانيا: الاتّساق الدلالي

الاتّساق الدّلالي هو حسن الانسجام والاتفاق بين الأجزاء المشكّلة للمعنى والحدث الذي تعرضه الفريدة الواردة اسما للسورة، ويتحقق هذا الانسجام والاتفاق ضمن السورة بين مجموعة من العلاقات على وفق: مناسبة دلالة الفريدة الواردة اسما للسورة معجميا لسياق السورة العام الذي استدعاها ولمقصد السورة الفريد، وهذه العلاقات مجتمعة جعلتها متّسقة دلاليا في سياقها وفي كونها اسما للسورة، بحيث تؤدي الغرض المسوقة من أجله بدقة ولا يسدّ غيرُها مسدَّها.

(١) ينظر: دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، ص٧٣، وعلم مقاصد السور، محمد الربيعة، ص٧.

ثالثا: السورة

يمكن تعريف السورة التي ستتم دراستها إجرائيا في هذه الدراسة بأنها: قطعة من القرآن معيّنة بمطلع ومقطع، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في مقصد وغرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة(١)، ولها اسم فريد.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تناولت الفرائد القرآنية عامة، دون التطرق إلى الحديث عن فرائد أسماء السور، ومن أهم هذه الدراسات ما يأتي:

أولا: أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها دراسة تطبيقية على سورة مريم(٢)، هدف البحث إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها، وكان مما تطرّق له الفرائد القرآنية ودورها في الدلالة على مقصد سورة مريم، ولم يتعرّض لبيان السرّ اللغوي والبياني الذي دعا لاستعمال هذه الفرائد في سياقها دون غيرها من الألفاظ مما يقترب من دلالتها العامة.

ثانيا: معجم الفرائد القرآنية(٣)، رصد فيه مؤلفه الفرائد القرآنية، وقام باستخراج معانيها من المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي تركّز على الجانب اللغوي، وهي دراسة معجمية بحتة.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٨٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (١/ ٣٥٠).

(٢) توفيق بن علي مراد زبادي، مجلة تدبّر، المملكة العربية السعودية، ع٣، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م، ص١٤١-٢٣٢.

(٣) باسم سعيد البسوميّ، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، رام الله، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

ثالثا: الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية (١)، تعرّض للأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية الواردة في ثنايا القصص القرآني فقط، فيبين معنى الفرائد في كتب التفسير واللغة، ويذكر مرادفات الفريدة موازنا بينها وبين الفريدة موضع الدراسة؛ وصولا إلى بيان الأسرار البلاغية التي كانت وراء اصطفاء تلك الفريدة دون غيرها من الألفاظ مما يقترب من دلالتها العامة.

رابعا: بلاغة الفرائد القرآنية (٢)، قامت الباحثة باستقراء الفرائد القرآنية كاملة وتصنيفها ودراستها، واستخراج الفنون البلاغية منها بعلومها الثلاثة (البيان والبديع والمعاني).

خامسا: التمكّن الدّلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم (٣)، جاء هذا البحث محاولةً لتطبيق نظرية الاتّساق الدلالي للمفردة من موقعها في السياق الواردة فيه، فاقتصر البحث فيه على عشرة أمثلة من المفردات التي وردت مرة واحدة في لغة القرآن الكريم.

إنّ غالبية الدراسات المتعلقة بالفرائد القرآنية إما دراسات معجمية لغوية اكتفت بذكر المعنى المعجمي للفرائد وبشكل موجز كما هو واضح في الدراسة الثانية، وإما دراسات بلاغية بحتة كالدراسة الرابعة، وإنْ تعرّضت أحيانا في دراستها لدراسة بعض الفرائد صرفيا وصوتيا، كما أنها لم تتعرض إلى ما ورد في الفرائد من أسرار بيانية ولغوية –إلا في القليل النادر–وأسرار تفردها في سياقها، وإما دراسات جزئية طرقت جانبا واحدا من الفرائد وهو القصص القرآني، وذلك كما في الدراسة الثالثة، وإما دراسات تعرّضت

---

(١) عبد الله عبد الغني سرحان، مركز التدبّر للاستشارات التربوية والتعليمية، مطابع نجد التجارية، السعودية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢) سارة بنت نجر بن ساير العتيبي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٣) محمد عبد الزهرة غافل، وشكيب غازي الحلفي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٥، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

لدلالة الفريدة على مقصد سورة معينة دون التعرّض لبيان السرّ اللغوي والبياني الذي دعا لإيثار هذه الفرائد في سياقها دون غيرها من الألفاظ مما يقترب من دلالتها العامة، وذلك كما في الدراسة الأولى، وإما دراسات اقتصرت على عدد محدود من الفرائد ولا يجمعها رابط أو موضوع كما في الدراسة الخامسة.

فما تضيفه الدراسة الحالية هو أنها تدرس فرائد أسماء السور من منظور لغوي بياني سياقي مقاصدي؛ لإثبات أن الفريدة القرآنية يحتاجها التركيب بعينها وليس إلى غيرها ليكتمل بناء النص الجمالي للقرآن الكريم، وأنها تهدف تحقيق مقاصد فريدة للسور الواردة فيها.

وهذا كله –على حدّ علم الباحث–مما لم يُتَناول بدراسة علمية مستقلة محكّمة.

منهج البحث:

-المنهج التحليلي اللغوي: في تحليل فرائد أسماء السور لغويا لبيان معناها.

-المنهج الاستقرائي: متمثلا في عملية البحث في القرآن الكريم عن الفرائد القرآنية، مستعينا بكتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي، و(معجم الفرائد القرآنية) لباسم سعيد البسومي.

-المنهج الوصفي: وذلك بإيراد الآية الواردة فيها الفريدة، ودلالة الفريدة المعجمية، وسياق السورة العام الواردة فيها الفريدة، وبيان مسوّغات الاتّساق الدّلالي لاصطفاء فرائد أسماء سور القرآن الكريم.

كما تم اعتماد المنهج الوصفي في هذه الدراسة في التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، لبيان حدودها ومقصدها.

حدود البحث

السور ذات الأسماء الفريدة عشر سور، وهي: سورة الروم، وسورة الأحقاف، وسورة التغابن، وسورة المزمّل، وسورة المدثّر، وسورة المطففين، وسورة التين، وسورة الفيل، وسورة قريش، وسورة المسد، وقد تناوَلْتُ في هذا البحث ثلاثة نماذج من فرائد أسماء السور، وهي: (المزمل) و(المدثر) و(قريش)؛ قصدْتُ بذلك إثبات فكرة البحث، وراعيت في ذلك الاختصار ما أمكن.

أدوات البحث

استخدم البحث في جمع المعلومات والبيانات أداة تحليل المحتوى بعد حصر ثلاثة نماذج من فرائد أسماء السور، وتتبّعها من خلال النظر فيما كتبه المفسرون والبلاغيون واللغويون من أسرار ونكات بلاغية للتعبير بهذه الفرائد دون غيرها من الألفاظ مما يشترك معها في الحقل الدلالي.

إجراءات البحث

1-جَمْع فرائد أسماء السور العشر، والاكتفاء منها بثلاثة نماذج، ودراسة كل نموذج على حِدَة.

2-إيراد الآية الواردة فيها الفريدة القرآنية، ثم بيان مسوّغات الاتّساق الدّلالي في اصطفاء الفريدة في سياقها وفي كونها اسما للسورة، وقد تمثلت في: دلالة الفريدة المعجمية، والسياق العام للسورة الواردة فيها الفريدة، ودلالة الفريدة على اسم السورة، ودلالة الفريدة على مقصد السورة الواردة فيها.

3-النظر في مرادفات الفريدة القرآنية والألفاظ التي تشترك معها في الحقل الدلالي والواردة في القرآن أو في كتب اللغة والتفسير، ثم عقد مقارنة بين الفريدة القرآنية وغيرها من الألفاظ مما يشترك معها في الحقل الدلالي؛ لاستنباط اللمحات الجمالية والأسرار البلاغية التي دعت إلى اصطفاء تلك الفريدة في

سياقها دون غيرها من الألفاظ مما يشترك معها في الحقل الدلالي ومن ثم بيان وجه دلالة الفريدة على اسم السورة وعلى مقصدها.

هيكل البحث:

المقدمة: وقد تضمنت عرض موضوع البحث، وإشكاليته، وأسئلته، وأهدافه، ومصطلحاته، والدراسات السابقة، ومنهجيّته، وحدوده، وأدواته، وإجراءاته، وهَيْكله.

الدراسة التطبيقية: مسوّغات الاتّساق الدّلالي لاصطفاء فرائد أسماء سور القرآن الكريم، وشملت مبحثين:

المبحث الأول: مسوّغات الاتّساق الدّلالي لاصطفاء الفريدتين (المزمل) و (المدثّر) في سياقهما.

المطلب الأول: دلالة الفريدتين المعجمية

المطلب الثاني: السياق العام لسورتي (المزمل) و (المدثر)

المطلب الثالث: وجه اصطفاء الفريدتين (المزمل) و (المدثر) في سياقهما

المطلب الرابع: وجه دلالة الفريدتين (المزمل) و(المدثر) على اسم السورتيْن

المطلب الخامس: دلالة الفريدتين (المزمل) و(المدثر) على مقصد السورتين الواردتين فيهما

المبحث الثاني: مسوّغات الاتّساق الدّلالي لاصطفاء الفريدة (قريش) في سياقها

المطلب الأول: دلالة الفريدة المعجمية

المطلب الثاني: السياق العام لسورة (قريش)

المطلب الثالث: وجه اصطفاء الفريدة (قريش) في سياقها

المطلب الرابع: وجه دلالة الفريدة (قريش) على اسم السورة

المطلب الخامس: دلالة الفريدة (قريش) على مقصد السورة الواردة فيها

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الدراسة التطبيقية

مسوّغات الاتساق الدّلالي لاصطفاء فرائد أسماء سور القرآن الكريم

المبحث الأول

مسوّغات الاتساق الدّلالي لاصطفاء الفريدتين (المزمل) و (المدثّر) في سياقهما

تمهيد بين يدي السورتين (المزمل) و (المدثّر)

سيتناول البحث الفريدتين معا؛ كونهما وصفا للهيئتين والحالتين اللتين كان النبي ﷺ متلبّسا بهما في بداية الدعوة وقت ندائه بهما.

سورة **(المزمل)** مكية في قول الجمهور، أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة المزمل بمكة إلا آية من آخرها وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ المزمل: ٢٠، إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة(١)، وحكى القرطبي مثل هذا عن الثعلبي(٢)، وروى الطبري عن سعيد بن جبير قال: "لما أنزل الله على نبيه ﷺ يا أيها المزمل [المزمل: ١] مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله بعد عشر سنين ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ إلى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المزمل: ٢٠، فخفف الله عنهم بعد عشر سنين"(٣)، قال ابن عاشور معقّبا على هذه الرواية: "أي نزلت الآيات الأخيرة في المدينة بناء على أنّ مقام النبي ﷺ بمكة كان عشر سنين وهو

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (١٥/ ٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٩/ ٣١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٣/ ٣٦١).

قول جمّ غفير"[1]، ثم رجّح مكية سورة المزمل إلا الآية الأخيرة منها، فقال: "فالظاهر أن الأصح أن نزول ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المزمل: ٢٠، إنْ لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة"[2].

قال أبو عمرو الداني: "وهي ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكي بخلاف عنه وفي البصري، وعشرون في عدد الباقين"[3].

سور **(المدثّر)** مكية، حكى الاتفاق على ذلك القرطبي[4]، قال أبو عمرو الداني: "وهي خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشامي وست في عدد الباقين"[5].

وردت الفريدة (المزمل) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ المزمل: ١، والفريدة (المدثر) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ المدثر: ١.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٣).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٣).

(٣) البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص٢٥٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٩/ ٥٩).

(٥) البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص٢٥٨.

المطلب الأول: دلالة الفريدتين المعجمية

المزمّل: ذكر ابن فارس أن الزاء والميم واللام أصلان: أحدهما يدلُّ على حَملِ ثِقْل من الأثقال، ومن الباب الزُّمَّيل، وهو الرجل الضعيف، الذي إِذا حَزَبهُ أمرٌ تَزَمَّلَ، أي ضاعَفَ عليه الثِّياب حتَّى يصير كأنّه حِمْل، وأمّا الأصل الآخَر فالأَزْمَلُ، وهو الصّوتُ(١)، وذكر ابن منظور أن الزاملة: بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه، وزمل الشيء: أخفاه، وزمله في ثوبه أي لفه، والتزمل: التلفف بالثوب، قال أبو إسحق: المزمل أصله المُتَزَمِّلُ والتاء تدغم في الزاي لقربها منها، يقال: تزمل فلان إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لفف فقد زمل، والزمل الخفة والسرعة، يقال زمل يزمل زمالا إذا عدا وأسرع معتمدا على أحد شقيه، كأنه يعتمد على رجل واحدة، وليس له تمكن المعتمد على رجليه جميعا، والزمال: مشي فيه ميل إلى أحد الشقين، وقيل: هو التحامل على اليدين نشاطا، وأخذ الشيء بأزمله أي كله، ويقال: عيالات أزملة أي كثيرة(٢).

المدثّر: قال ابن فارس: "الدال والثاء والراء أصلٌ واحد يدل على تضاعُفُ شيءٍ وتناضُدُه بعضه على بعض، فالدَّثْر: المال الكثير، والدِّثار: ما تدثَّر به الإنسانُ، وهو فوق الشِّعار"(٣)، والدُّثُور الدُّرُوس، وانْدَثَر قَدُمَ ودَرَسَ، وروي عن الحسن أَنه قال: "حادِثُوا هذه القلوب بذكر الله فإِنها سريعة الدُّثُورِ"(٤)،

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (زمل)، (٣/٢٦).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٨٣؛ ولسان العرب، ابن منظور، مادة (زمل)، (١١/٣١٠-٣١٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (دثر)، (٢/٣٢٨).

(٤) أخرج هذا الأثر أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث، فقال: ﴿وفي حديث الحسن: ﴿حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور، واقدعوا هذه الأنفس، فإنها طُلَعَة﴾، يُروى عن المبارك بن فضالة عن الحسن﴾. ومعنى ﴿سريعة الدثور﴾: يعني دروسَ ذكر الله تبارك وتعالى واتِّحاءَهُ منها. ومعنى ﴿اقدعوها﴾: كُفُّوها وامنعوها. وفي ﴿طلعة﴾ روايتان: طَلِعَة، وطُلَعَة. والذي أراد الحسن: أن هذه النفوس تَطَّلِع إلى هواها، وتشتهيه، حتى تُردي

ودُثُورُ النفوس سُرْعَةُ نِسْيانِها، ودَثَرَ الرجلُ إِذا علته كَبْرَةٌ واسْتِسْنانٌ، والدَّثَرُ الوَسَخُ، ودَثَرَ السيفُ إِذا صَدِئَ، وسيف داثِرٌ وهو البعيد العهد بالصِّقالِ، وتَدَثَّرَ بالثوب اشتمل به داخلاَ فيه، والدِّثارُ ما يُتَدَثَّرُ به وقيل هو ما فوق الشِّعارِ، والدِّثارُ الثوب الذي يُسْتَدْفَأُ به من فوق الشِّعارِ، والأَصل مُتَدَثِّر أُدغمت التاء في الدال وشدّدت، وقال الفرّاء في قوله تعالى (يا أَيها المُدَّثِّرُ): "يعني المُتَدَثِّر بثيابه إِذا نام، وقد تَدَثَّرَ أَي تَلَفَّفَ في الدِّثار"(١)، والدَّثُورُ الكَسْلان عن كراع والدَّثُور أَيضا الخامل النَّؤُوم، والدَّثْرُ بالفتح الكثير من كل شيء، وتَدَثَّرَ فَرَسَه وَثَبَ عليها فركبها(٢)، والدَّثُور، بالفَتْحِ: البَطِيءُ الثَّقِيل الذي لا يكاد يَبْرحُ مكانَه، و الدّاثِر: الغافِلُ (٣).

صاحبَها، يقول: فامنعوها من ذلك، واجْلُوا القلوب واغسلوا الدَّثَرَ والرَّيْنَ والطَّبَعَ الذي علاها بذكر الله، ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، (٤٥٩-٤٦١).

(١) معاني القرآن، الفراء، (٣/ ٢٠٠).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٠٨؛ ولسان العرب، ابن منظور، مادة (دثر)، (٤/ ٢٧٦).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، (١١/ ٢٧١).

المطلب الثاني: السياق العام لسورتي (المزمل) و (المدثر)

سميت سورة المزمّل أي المتلفف بثيابه؛ لأنها تتحدث عن النبي ﷺ في بدء الوحي، ولأنها بدئت بأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل، وينهض إلى تبليغ رسالة ربه عزّ وجل، وقد تناولت السورة الإرشادات الإلهية الموجهة للنبي ﷺ في مسيرته أثناء تبليغ دعوته، وتهديد المشركين المعرضين عن قبول تلك الدعوة، وقد ابتدأت بأمره ﷺ بقيام الليل إلا قليلا منه، وبترتيل القرآن لتقوية روحه.

تظهر مناسبة سورة المزمل لما قبلها من جهة خَتْم سورة الجن ببيان تبليغ الرسل رسالات ربهم، والنبي ﷺ واحد من هؤلاء الرسل الكرام وهو خاتمهم الذين اختارهم الله سبحانه لتبليغ رسالاته إلى الناس كافة، فناسب ذلك أن تجيء سورة ﴿المزمل﴾ تالية سورة ﴿الجن﴾، وافتُتِحت بهذا النداء الكريم من الله سبحانه وتعالى إلى رسولهﷺ وآذنه بأنه قد اختير من الله سبحانه ليكون رسولا، وأمره بالتبليغ والإنذار، وهجر الراحة في الليالي(١).

وأما سورة المدّثر فقد سميت بذلك؛ لافتتاحها بهذا الوصف الذي وصف به النبي ﷺ وأصل المدثر المتدثر: وهو الذي يتدثر بثيابه لينام أو ليستدفئ، وتضمنت السورة إرشادات للنبي ﷺ في بدء دعوته، وتهديدات لزعيم من زعماء الشرك، وأوصاف جهنم، وقد ابتدأت السورة بتكليف النبي ﷺ بالقيام بالدعوة إلى ربه، وإنذار الكفار، والصبر على أذى الفجّار.

---

(١) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، (٢٩/١٠٩)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/٢٥٥)، والتفسير المنير، الزحيلي، (٢٩/١٨٧-١٨٨)، والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٥/١٢٤٦).

تظهر مناسبة سورة ﴿المدثر﴾ لما قبلها وهي سورة ﴿المزمل﴾ من جهة بدء سورة ﴿المزمل﴾ بالأمر بقيام الليل (التهجد) وهو إعداد لنفسه ليكون داعية، وبدئت سورة ﴿المدثر﴾ بالأمر بإنذار غيره، وهو إفادة لغيره في دعوته.

كانت سورة ﴿المزمل﴾ دعوة لإيقاظ النبي ﷺ وتنبيهه إلى الحياة الجديدة التي سيبدأ رحلتها منذ اليوم الذي التقى فيه برسول الوحي في غار ﴿حراء﴾ فهو رسول الله إلى الناس جميعا، وأداء هذه الرسالة يقتضي بأن يرفع هذا الغطاء عنه، وأن يستيقظ استيقاظا كاملا، وأن يصحو صحوة لا يخالطها فتور، حتى يستطيع أن يحمل هذه الرسالة الكبرى، ويواجه الناس بها، وقد استيقظ ﴿المزمل﴾ ورفع الغطاء عنه، وقام الليل إلا قليلا، يرتل ما نزل عليه من آيات ربه.

ثم يدخل عليه رسول الوحي، فيجده متدثرا في ثيابه، قائما في محراب ذكره لله تعالى، فيدعوه إلى قيام غير القيام الأول الذي دُعي إليه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ المزمل: ١ – ٢، وإنّ المدثر ليقوم الآن لينذر، ويبلغ رسالة ربه إلى الناس، وليخلع الأردية المتدثر بها، وليلبس ثوب العمل[1].

(١) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٩/ ٢١٥-٢٠١٦)، والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٥/ ١٢٧٩).

المطلب الثالث: وجه اصطفاء الفريدتين (المزمل) و (المدثر) في سياقهما

في ضوء النظرة الكلية للسورتين وسياقهما العام والمعاني المعجمية للفريدتين (المزمل) و(المدثّر) تتبيّن الدلالات الآتية:

- تدور مادة (زمل) في المعاجم -كما سبق بيان ذلك في الدلالة المعجمية لها-حول معاني: الحِمل، والثقل، والضعف، والصّوت، والتلفف بالثوب أو غيره، والخفة والسرعة دون تمكّن، والكثرة.

كما تدور مادة (دثر) حول معاني الكثرة، وتضاعُف شيءٍ وتناضُده بعضه على بعض، والدُّرُوس، ودُثُور النفوس سُرْعَة نِسيانها، والوَسَخ، والتغطية، والاشتمال، والكَسل، والدفء، والاسترخاء والخمول، والبطؤ والثقل، والغفلة.

-كلتا الفريدتين جاء بأسلوب النداء بصفتين وهيئتين كان النبي ﷺ متلبسا بهما في بداية الدعوة، وأُتبعا بأمرين -(قم الليل إلا قليلا) (قم فأنذر)- له ﷺ بترك الراحة والاستعداد للدعوة ومواجهة أعبائها، ولم يخاطب باسمه نداء، وذلك من خصائصه ﷺ دون سائر الرسل؛ إكراما له وتشريفا وتلطفا وارتفاقا(١).

- يقتضي سياق سورتيْ (المزمل) و(المدثّر) وسبب نزولهما استعمال كلٍّ من الفريدتين (المزمل) و(المدثّر) في مقامهما دون غيرهما من الألفاظ من مثل (المتلفّف أو المتغطي أو المتحمّل)، فهي لا تغني غناء الفريدتين (المزمل) و(المدثّر) في تأدية المعنى وتصويره، ولا تتناغى مع مقامهما، وسيظهر ذلك من خلال بيان سبب نزول السورتين.

اختُلِف في سبب نزول سورتيْ المزمل والمدثر، فقد جاء سبب نزول سورة المزمل في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه- وهو التعبد-

(١) ينظر: حاشية الكشاف، الزمخشري، (٤/ ٦٣٤)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٦).

الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ"، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ العلق: ١ – ٣"، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: "زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع..."[(١)]، فأنزل الله تعالى بعد ذلك سورة المزمل.

توضّح هذه الرواية أن مُوجِبَ تزمّله ﷺ كان خوفه ورعبه من رهبة وعظم وهول الموقف، فقد "تزمّل النبي ﷺ بثيابه في أوّل ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى أنس به"[(٢)]، كما كان الوحيُ وأعباء وتكاليف الرسالة التي تحمّلها النبي ﷺ ثقيلة على قلبه.

كما ذكرَ ابن كثير في تفسيره حديث جابر في سبب نزول سورة المزمل، فعن جابر رضي الله عنهما قال: "اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسمًا تصدر الناس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ" "يَا أَيُّهَا

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٣)، (١/٣)، وصحيح مسلم، مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله، حديث رقم (٤٢٢)، (١/٩٧).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، (٧/٣٣٥).

الْمُدَّثِّرُ"[1]، يقول ابن عاشور: "أنزل عليه التلطف به على تزمله بثيابه لما اعتراه من الحزن من قول المشركين فأمره الله بأن يدفع ذلك عنه بقيام الليل"[2].

توضّح هذه الرواية أن مُوجِبَ تزمّله ﷺ كان أسفه وحزنه من موقف قومه من دعوته، ومن سوء أقوالهم وما بيّتوه من الافتراءات التي يصدّون الناس بها عن دعوته.

إنّ وَصْفَه ﷺ بِـ (المزمّل) بناء على ما سبق حَقِيقَةٌ وليس مجازا، ومما ورد في معنى المزمّل: المزمل بالنبوّة، والملتزم للرسالة، قال عكرمة: "معناه زملت هذا الأمر فقم به"[3]، يريد أمر النبوءة، ومحمل التزمّل عنده على المجاز، وقيل المعنى: يا أيها المزمل بالقرآن[4].

وأما سبب نزول سورة المدثّر فقد رُوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبيﷺ وهو يحدث عن فترة – أي انقطاع -الوحي فقال في حديثه: "فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فَجَئِثْتُ منه رعبا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٢٤٩). وحديث جابر أخرجه أخرج البزار في مسنده برقم (٢٢٧٦)، "كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة"، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ٢/ ٤٠٤"، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٤٠٨) من طريق محمد بن موسى القطان به مثله، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برقم (١١٤٤٣)، (٧/ ٣٨): "وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب".

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، (٢٣/ ٣٥٨)، والسيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، (١٥/ ٣٩).

(٤) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، (٧/ ٣٣٥)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٧).

فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ المدثر: ١-٥"[1].

توضّح هذه الرواية أن مَنْشأ تدثّره ﷺ كان ما اعتراه من الرعب والفزع من شدة وقع رؤية جبريل عليه السلام الذي جاءه بحراء على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح، وقد كانت هذه الرؤية الأولى التي يرى فيها جبريل عليه السلام على تلك الصورة، وأما الرؤية الثانية فكانت في السماء ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ ﴾ النجم: ١٣ – ١٦، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الرؤية-يعني الأولى- لجبريل ورسولُ الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح[2]، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء"[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٤١)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المزمل، ومسلم برقم (٢٣٢)، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ النجم: ١٣ – ١٤: "رأى جبريل له ستمائة جناح". رواه البخاري (٣٠٦٠) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (٣/ ١١٨١)؛ ومسلم (١٧٤) باب في ذكر سدرة المنتهى، (١/ ١٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/ ٤٤٥).

يقول ابن عاشور: "فالوصف بـ(المدثر) حقيقة، وقيل هو مجاز على معنى: المدثر بالنبوءة، كما يقال: ارتدى بالمجد وتأزّر به، على نحو ما قيل في قوله تعالى: يا أيها المزمل، أي يا أيها اللابس خلعة النبوءة ودثارها"(١).

بانَ من سبب النزول أنّ الداعي والموجب الذي دعا النبي ﷺ إلى أن يكون متزمّلا هو خوفه ورعبه من رهبة وعظم الموقف، إذ كان الوحيُ ثقيلا على قلب النبي ﷺ كما كان تزمّله لأعباء وتكاليف الرسالة التي تحمّلها، وذلك كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها السالف الذكر، أو أن تزمّله ﷺ كان لأسفه وحزنه من افتراءات قومه عليه ليصدّوا الناس بها عن دعوته وذلك كما جاء في حديث جابر رضي الله عنهما، ولكنّ هذا الخوف أقل من الخوف الذي لقيه ﷺ عندما رأى جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها ولأول مرّة، فهو أمر لا عهد له به من قبل، فناسب لذلك أن يستعمل القرآن الفريدة (المزمّل) في وصف هيئة النبي ﷺ عندما جاءه جبريل في غار حراء بالآيات الكريمة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ...﴾ العلق: ١-٥، وحمّله أعباء الرسالة، أو في وصف حزنه من افتراءات قومه عليه ﷺ، فهي أخفّ وقعا وحدّة من الفريدة (المدثّر) التي عُبِّر بها عن أمر مخيف عظيم دعا النبيَّ ﷺ إلى التدثّر، فالمدثر أقوى في حروفها، وإيقاع أصواتها، وقد شكّلت بحروفها نسقا صوتيا قويا ومؤثّرا، فالدال صوت صامت مجهور سني انفجاري شديد، والثاء حرف صامت احتكاكي مهموس رخو، والراء صامت مكرر مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وأما (المزمل) فقد شكّلت بحروفها نسقا صوتيا أضعف من حروف سابقتها (المدثر)، فالزاي صامت مجهور

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٩٤).

لثوي احتكاكي رخو، والميم صامت مجهور شفوي أغنّ رخو، واللام صامت مجهور سنّي منحرف متوسط بين الشدة والرخاوة(١).

وبذلك تجانست حروف كل فريدة مع السياق وسبب نزول السورة الواردة فيها، بحيث لا يُغني أيٌّ من الفريدتيْن غناء الأخرى في سياقها.

– كلتا الفريدتين (المزمل) و(المدثّر) جاء على صيغة اسم الفاعل، ويلتقيان في مآل المعنى وهو التغطية والسّتر، وإن كان بينهما اختلاف في أصل الاشتقاق، فالتزمل مشتق من معنى التلفف، والتدثر مشتق من معنى اتخاذ الدثار للتدفؤ(٢).

– المزمل أَمْرٌ من المولى سبحانه للنبي ﷺ بالقيام من النوم إلى قيام الليل، فمن معاني المزمل المتلفّف والمتحمل حملا ثقيلا حتى أصابه الضعف والهمّ، والمعنى: قم يا أيها المتلفّف بأعباء وتكاليف الرسالة، المتحمل لما فيها من نصب وتعب وثِقل إلى ما يعينك على حمل الرسالة وهو قيام الليل، وناج ربك فيه فهو زادك الروحي يعينك على العبء الكبير الذي تحمّلْتَه، ويعينك على الدعوة ومواجهة شدائدها ومصاعبها، ولذا فسورة المزمل هي سورة زاد الداعية، فقيام الليل علاج مَن أحسّ بثقل العبادة وأعباء التكاليف، فهو زاد روحي يعينه على تحمل أعباء الحياة وتكاليف الدين، كما أنّ من معاني التزمّل الخفة والسرعة دون تمكّن، فقد سارع النبي ﷺ بالتزمل بعدما نزل عليه الوحي بصدر سورة العلق، وشعر بثقل الرسالة، وأنه تحمل حملا ثقيلا فحزن وضعف واغتمّ، فذهب إلى خديجة رضي الله عنها وطلب منها أن تزمّله، ولكنْ لم تكن

(١) يمكن الرجوع في خصائص ومعاني حروف الفريدتين (المزمل) و(المدثر) إلى: خصائص الحروف العربية، حسن عباس، وعلم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، محمود السعران.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/٢٥٦).

حالته حالة المتزمّل المتمكّن المستقرّ على حالته، بل سارع النبي ﷺ بترك حالة التزمل وهجرها استجابة لنداء ربّه سبحانه.

بينما المدثر خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ بأن ينهض للدعوة والإنذار بعدما تغطى خوفا مما أصابه بعد رؤيته جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله عليها، فمن معاني المدثر الكَسل، والدفء، والاسترخاء والخمول، والبطؤ والثقل، والغفلة، والنسيان، وتضاعُف شيء وتناضُده بعضه على بعض، والوَسَخ، والتغطية، والاشتمال، فالمتدثر تصف حالة النبي ﷺ وقد عَلَتْه الهموم وكأنها طبقات بعضها فوق بعض، هَمٌّ لفتور الوحي بعدما نزل عليه بحراء بصدر سورة العلق، ثم هَمٌّ وفزع من رؤية جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، فناداه المولى سبحانه قم يا أيها المتدثر، والمعنى: يا مَن تضاعفت عليك الهموم والأحزان لا تركن لها ولا تكسل فليس الوقت وقت راحة واسترخاء وتباطؤ، ولا تغفل عن القضية الكبرى التي بُعثت لأجلها وهي قضية الدعوة، ولا بدّ أن تنهض لها وتترك التدثّر فهذا لا يلائم حالة الداعية، ولذا فسورة المدثر هي سورة الدعوة للنهوض بها، وكأنّ فيها إشارة إلى أن الدعوة هي السبيل للخلاص من هموم الدنيا، فالدعوة هي ترك التعلق بالدنيا، والتدثر هو الركون والاستسلام للدنيا، فالدعوة على ذلك علاج لمن تضاعفت عليه الهموم وتراكمت.

-يدل المعنى المعجمي لفعل الأمر (قُمْ) في: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ المزمل: ٢، وفي: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ المدثر: ٢، على الانتصاب والعَزْم والاعتناق والملازمة والمواظبة والاستمساك، يُقال قام على الأمر: دام وثبت، وقام إلى الشيء: تهيّأ واستعدّ، والقيام: نقيض الجلوس، ويجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح والوقوف وعدم المجاوزة والاستقامة والعدل والقصد[1].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٤٣)، لسان العرب، ابن منظور، (٤٩٦-٥٠١).

في ضوء المعنى المعجمي للفعل (قام) وسياق سورتيْ (المزمل) و(المدثر) يتبيّن أنّ تحمّل أعباء الدين وتكاليفه والقيام بأمر الدعوة والتخلص من الهموم بحاجة إلى قيام وعزم وثبات ودوام واستعداد وتهيّؤ، يكون قيامُ الليل لمن تزمّل وتحمّل أحمالا ثقيلة من الهموم وضَعُف، فيأتي العلاج الربّاني لهذه الحالة بالثبات على قيام الليل والمداومة عليه، فقيام الليل بمثابة الزاد للإنسان، فكما يداوم الإنسان على الزاد المادي يقتات منه ليعيش، فكذلك لا بدّ من المداومة على الزاد الروحي لتصفو روحه ويقوى جسده على العبادة ويتهيّأ للدعوة، ثم يأتي القيام للإنذار والدعوة لمن تراكمت عليه الهموم والمخاوف والمصاعب حتى وصل إلى حالة الاسترخاء واليأس، فيأتي العلاج الرباني لهذه الحالة بالثبات على الدعوة والإنذار والمداومة والصبر عليها، فالدعوة كفيلة بإذن الله تعالى بتخليصه من هذه الهموم والمخاوف، فمن ترك راحته من أجل الله تعالى كان حقا على الله أن يؤمّنه في الدنيا والآخرة، وهذا ما حدث مع النبي ﷺ إذ أمره ربه سبحانه بقيام الليل ليتزوّد من ذلك بزاد يُعينه على القيام بالدعوة وإنذار الناس، كما أنّ في ذلك إشارة من الله تعالى لنبيه ﷺ بأنه مُقدِم على أمر جليل عظيم يحتاج فيه إلى صبر وثبات، لذلك دعاه إلى التهيّؤ والاستعداد لأمر الدعوة والثبات والصبر عليها وترك الراحة والاسترخاء.

فيكون المقصود بالقيام في الآيتين ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ و﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾: مطلق القيام، أي قم الليل وقم للدعوة بعزم وجدّ وداوم عليهما، والتعبير بالقيام الدال على العزم والتصميم؛ لئلا يكون خوفه مانعا له من قيام الليل الذي هو زاد روحيّ يؤهّله للقيام بالدعوة.

ذكر ابن عاشور أنّ القيام المأمور به في ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ ليس مستعملا في حقيقته؛ لأن النبي ﷺ لم يكن حين أوحي إليه بهذا نائما ولا مضطجعا ولا هو مأمور بأن ينهض على قدميه وإنما هو مستعمل في الأمر بالمبادرة والإقبال والتهمّم بالإنذار مجازا أو كناية، وشاع هذا الاستعمال في فعل القيام حتى صار معنى

الشروع في العمل من معاني مادة القيام مساويا للحقيقة، فاستعمال فعل القيام في معنى الشروع قد يكون كناية عن لازم القيام من العزم والتهمم كما في الآية، ففعل قم منزل منزلة اللازم، وتفريع فأنذر عليه يبين المراد من الأمر بالقيام، والمعنى: يا أيها المدثر من الرعب لرؤية ملك الوحي لا تخف وأقبل على الإنذار(١)، قال الزمخشري: "قم قيام عزم وتصميم"(٢).

- لا تدلّ الفريدتان (المزمل) و(المدثر) على فرادتهما في استعمال القرآن وحسب، بل تدلّ على تفرّد النبي ﷺ على سائر الأنبياء بندائه بوصف من أوصافه وحالة من حالاته المتلبّس بها، ولم يناد المولى سبحانه نبيّه ﷺ باسمه مجردا مطلقا على خلاف سائر الأنبياء الذين ناداهم ربهم بأسمائهم مجرّدة؛ تعظيما وتكريما وتحبّبا إليه ﷺ وتخصيصا له من بين سائر إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

-دلّت الفريدتان (المزمل) و(المدثر) على أنّ الله تعالى يريد من رسوله ﷺ ومن عباده هجر وترك حالتيْ التزمّل والتدثّر، والتمسّك والثبات بالحيوية والنشاط وعدم الكسل، فالمؤمنون وخاصة الدعاة إلى الله تعالى لا يناسبهم حالة الكسل والاسترخاء، فهم ذو عطاء متجدد ثابت مداومون عليه.

- التعبير بالمدثّر مع القيام بالإنذار استكمال وتتميم للمزمّل مع القيام بالليل، فكأنّ المعنى: بعد أن نزل الوحي عليك يا أيها المزمّل وكلّفك من ربك بالرسالة، ودلّك على ما فيه زاد لروحك بقيام الليل، فنفعت نفسك وأصلحتها، أصبحت حينئذ مهيأ لنفع غيرك وإصلاحهم، فقم للدعوة مستعدا لها مداوما عليها.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٩٤).

(٢) الكشاف، الزمخشري، (٤/ ٦٤٥).

ويُلاحظ أن التعبير بالمزمل جاء مع قيام الليل، وقد كان الهدف من أَمْر النبي ﷺ بقيام الليل هو إصلاحه وتقوية روحه بما يعينه على أعباء الدعوة، ووقت الليل بما فيه من ظلمة وصفاء وهدوء هو أنفع وأنجع لمن أراد إصلاح نفسه، فهو بعيد عن شواغل الحياة ونفوس الناس، قريب من ربه، وفي ذلك إشارة إلى أن الداعية لا بدّ له أن يكون له حظّ من قيام الليل؛ ليكون عونا له على إصلاح نفسه ثم إصلاح غيره.

وأما التعبير بالمدثّر فقد كان مع الإنذار وهو غالبا يكون نهارا، وهو الأنسب للدعوة، والتعبير بالقيام بالإنذار الدال على العزم والجدّ والتصميم على الدعوة يتناسب مع الدعوة نهارا ففيه يلقى الداعية تجاوبا أكثر من المدعوّين.

- الخطاب للنبي ﷺ بالفريدة (المزمل) وما جاء معها من القيام بالليل، وبالفريدة (المدثر) وما جاء معها من الإنذار بالنهار، فيه تحريض للنبي ﷺ على استفراغ وسعه في القيام بأمرين: أمر قيام الليل، وأمر الإنذار والدعوة، فيتخذ من صلاة الليل زادا يعينه على الدعوة والإنذار.

المطلب الرابع: وجه دلالة الفريدتين (المزمل) و(المدثر) على اسم السورتيْن

إنّ القرآن الكريم مبنيّ على مقاصد أساسية تهدي سوره وآياته إليها من خلال طرق وجِهات مخصوصة في الدلالة على مقصدها، ومن أهم الوسائل العملية المعينة على معرفة مقصد السورة[1]: التأمل في اسم السورة، ومعرفة فضائلها، والتأمل في أوائلها وأواخرها، وفي الكلمات الفريدة أو الكلمات المكررة فيها، وإمعان النظر في السورة كلها ومراعاة سياقها العام.

من خلال النظر في الوسائل العملية المعينة على معرفة مقصد السورة واستقراء آيات السورتين (المزمل) و(المدثر) يمكن القول: إنّ المقصد من سورة (المزمل) هو الإشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمّله، وبيان أهمية الزاد الروحي للدعاة في مواجهة الشدائد ومصاعب الحياة، تثبيتًا للنبي ﷺ وتوعدًا للمكذبين به، والمقصد من سورة (المدثر) تكريم النبي ﷺ والأمر بالنهوض بالدعوة ومقوّماتها، وتوعّد المكذبين بها، وقد كان لآيات وكلمات سورتيْ (المزمل) و(المدثر) بما فيهما من دلالات لغوية وأساليب بلاغية دورٌ في الدلالة على مقصد السورتين وبيانه، ومما ساعد على الوصول إلى مقصد سورتيْ (المزمل) و(المدثر) بشكل واضح ورود الفريدتين (المزمل) و(المدثر) والتي كانت لهما دلالات معجمية جعلتهما متّسقة في سياقهما بحيث لا يسدّ غيرُهما من الكلمات مسدَّهما، وكانتا بمثابة الغاية التي تهدف إليهما السورتين، والمحور الذي كانت تدور في قطبه كل معاني السورتين، والمقصد في الحقيقة هو ما تهدي إليه معاني السورة وترجع إليه، وعليه فقد أصبحت الفريدتان (المزمل) و(المدثر) مترجِمة عن

---

(١) ينظر: علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن بن زبن المطيري، ص٥٤-٥٩، وأفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها دراسة تطبيقية على سورة مريم، توفيق بن علي مراد زبادي، مجلة تدبّر، المملكة العربية السعودية، ع٣، ص١٥١-١٥٩.

مقصدهما، والمترجِم عن مقصود السورة هو من خصائص اسم السورة، ولذلك سمّيت السورتان بالفريدتين (المزمل) و(المدثر)، وينفرد القرآن بذلك بنمط فريد في تسمية السورة بفريدة فيها.

ومما يلاحظ أن القرآن الكريم لم يناد النبي ﷺ بهاتين الصفتين إلا مرة واحدة مع وجود مواضع أخرى[1] ناداه المولى سبحانه بصفتيْ (النبي) و(الرسول) ودعاه فيها إلى إنذار الناس وتبليغهم رسالته، كما دعاه إلى ذلك في سورتيْ المزمل والمدثر، ومع ذلك لم ينادِ النبي ﷺ في تلك المواضع بصفتي المزمل أو المدثر؛ كما لم ينادِه في سورتي (المزمل) و(المدثر) بصفتيْ (النبي) و(الرسول)؛ ولعل ذلك لمجيء سورتي (المزمل) و(المدثر) والأمران فيهما -بقيام الليل والإنذار- في بداية الدعوة، وما يتطلب ذلك من العزم والتصميم والنهوض بهذا الحمل الثقيل وترك الراحة والتزوّد بالزاد الروحي استعدادا لمواجهة الشدائد والمشاق التي سيلقاها عند تكذيب المكذّبين دعوته، ولذلك أُتبعت صفتا (المزمل) و(المدثر) بالقيام الدال على العزم والتصميم، وقد خصّ المولى سبحانه النبيَّ ﷺ بهاتين الصفتين تنبيها له على أمر عظيم مقبل عليه ومكلّف بتبليغه، وتحريضا له ﷺ على استفراغ وسعه في تبليغ دين الله وترك الراحة، فلا تراخٍ بعد اليوم وإنما عزم وتصميم وجدّ، وحتى يُقرّر المولى سبحانه هذا الغرض في نفس النبي ﷺ ونفوس الدعاة من بعده عَنون السورتين بالصفتين (المزمل) و(المدثر).

---

(١) من ذلك على سبيل المثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ المائدة: ٦٧.

المطلب الخامس: دلالة الفريدتين (المزمل) و(المدثر) على مقصد السورتين الواردتين فيهما

جاءت الفريدتان (المزمل) و(المدثر) وصفا للهيئتين اللتين كان النبي ﷺ متلبّسا بهما في بداية الدعوة وقت ندائه بهما، ودلّتا مع سياقهما على الإرشادات الإلهية الموجهة للنبي ﷺ في مسيرته أثناء تبليغ دعوته، وهذا في غاية المناسبة لمقصد السورتين اللتين ركّزتا على التزوّد بالزاد الرّوحي بإقامة صلاة الليل لمواجهة الشدائد التي ستواجه النبي ﷺ في دعوته، وما ينشأ عن ذلك من تهذيب النفس وتزكيتها وإصلاح الفكر، والتهيؤ بعد ذلك والاستعداد للقيام بالدعوة ومقوّماتها وتوعّد المكذبين بها[1]، وقد أكّدت السورتان على مقصدهما عن طريق حكاية الحادثتين اللتين حصلتا مع النبي ﷺ في بداية الدعوة، وذلك أدعى لترسيخ مقصديْ السورتين في قلوب الدعاة، وأهدى للدعاة لاتباع الإرشادات الإلهية في مسيرتهم الدعوية.

وبذلك يُحَقّق الصلاح الفردي عند الداعية، ورأسه صلاح اعتقاده وتزكية نفسه وروحه، ومن ثَمّ القيام بما أوجبه الله على الدعاة من إصلاحات متمثلة بالإصلاح الجماعي والعمراني، وهكذا أصبحت الفريدتان (المزمل) و(المدثر) شعارين يرمزان إلى دلالات متعددة، فهما من جهة رمزٌ للمكذّبين بدعوة النبي ﷺ وهي بذلك النموذج السلبي للمقصد الذي تركز عليه السورة، نموذج مَن يرسل الله إليه رسولا ليخرجه من ظلمات الكفر وينعم عليه نعما كثيرة فيطعن في القرآن ويزعم أنه قول البشر ويكفر بنِعمه، ومن جهة أخرى فهي رمزٌ وشعارٌ للدعاة ليتزوّدوا بالزاد الروحي ليكون عونا لهم في دعوتهم لدين الله تعالى.

---

(١) ينظر مقصد السورتين في: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢٥٥)، وجماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص٥٧٤، ٥٧٥.

المبحث الثاني

مسوّغات الاتساق الدّلالي لاصطفاء الفريدة (قريش) في سياقها

تمهيد بين يدي السورة

سورة قريس مكية في قول الجمهور، وعدد آياتها أربع في الكوفي والبصري والشامي، وخمس في المدنيين والمكي[1]، وقد وردت الفريدة (قريش) في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ قريش: ١، وهي تمثل اسم قوم وهي قبيلة النبي ﷺ وَهُم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل مَن كان مِن ولد النضر فهو قرشي دون بني كنانة ومن فوقه[2].

المطلب الأول: دلالة الفريدة المعجمية

القَرْشُ: الكسبُ والتَقْريشُ: الاكتساب، والجمعُ والضمّ من هنا وهنا بعد التفرُّق، والتداخل، يُقال تقارَشَت الرماحُ أي تداخلت في الحرب، واقتَرَشَت الرماحُ إذا وَقَعَ بعضها على بعض، وأقْرَشَ به إقْراشا، أي سعى به ووقع فيه وبغاه سوءا، ويقال: ما أقْرشتُ به: أي ما وَشيتُ به، والْمُقَرِّشُ: المحرِّشُ، وقيل تقرّش: تنزّه عن مدانِس الأمور، وتقَرَّشَ الشيءَ تَقَرُّشا إذا أخذه أولا فأولا، والمُقَرِّشةُ: السَنة المَحْل الشديدة؛ لأن الناس عند المَحْل يجتمعون فتنْضمُّ حواشيهم وقَواصِيهم[3].

---

(١) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، الداني، ص٢٩٠، والفرائد الحسان في عدّ آي القرآن ومعه شرحه نفائس البيان، عبد الفتاح القاضي، ص٧٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠/ ٢٠٠)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، (٨/ ٦٤).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٨/ ٢٥٤)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٢/ ٧٠)، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٧٠)، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٦/ ١٥٦)، ولسان العرب، ابن منظور، (٦/ ٣٣٤).

وقيل: القرش التفتيش[1].

ورد في سبب التسمية بقريش وجوه، أحدها: أنه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن تأكل ولا تُؤْكَل، تعلو ولا تعلى، والتصغير للتعظيم، فسميّت قرَيش بذلك نسبة إلى هذه الدابّة التي تغلبُ سائرَ الدَّوابّ ولا تَدَع دابَّة إلا أكَلَتْها، ولغلبة قريش وقهرهم سائر القبائل شُبِّهت بهذه الدابّة بجامع الشجاعة والقوة فيها ولذلك سميت باسمها، كما تقهر هذه الدابة سائر دواب البحر وتأكلها، وثانيها: أنه مأخوذ من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا أهلَ تجارة كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا أصحاب زرع أو ضرع، وكانوا تجارا حراصا على جمع المال والإفضال، وثالثها: سمّيت قرَيش بذلك لأنهم كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قُصيُّ بنُ كلاب في مكة حتى اتخذوها مسكنا، ورابعها: سميّت بذلك لأن أباهم كان يفتّش عن أرباب الحوائج ليقضي حوائجهم، وكذا كانوا هم يفتّشون على ذي الخَلَّةِ (الحاجة والفقر) من الحاج (جماعة الحجاج) ليسدوها؛ لأن القرش التفتيش[2]، وخامسها: بنو قريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم؛ فقيل لهم قريش، على ما ذهب إليه جمهور النسّابين[3].

المطلب الثاني: السياق العام للسورة

مناسبتها لما قبلها: تضمّنت السورتان ﴿الفيل وقريش﴾ ذِكْر نعمة من نعم الله على قريش: فسورة ﴿الفيل﴾ تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم وهو أساس مجدهم وعزهم، وبهذا وجدت قريش في هذا البلد أَمْنها، وصار لها في قلوب العرب مكانة عالية، ثم جاءت سورة ﴿قريش﴾ بعد هذا وكأنها تعقيب على حادثة الفيل، ونتيجة لازمة من نتائج هذه الحادثة إذ ذكرت نعمة أخرى عليهم وهي

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القمي النيسابوري، (٦/ ٥٧٠).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (٤/ ٨٠٢)، ومفاتيح الغيب، الرازي، (٣٢/ ١٠٠).

(٣) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص٣٩٧.

اجتماع أمرهم، والتئام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفا وشتاء في تجارتهم، وجلب الميرة لهم، فقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أي لأجل أن تألف قريش رحلة الشتاء إلى اليمين والصيف إلى الشام للتجارة، ولكي تعتاد تنظيم حياتها على هاتين الرحلتين ويكونون في أمن وسلام لا يعرض لهم أحد بسوء كان هذا الذي صنعه الله تعالى بهذا العدوّ صاحب الفيل، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾ قريش: ٣-٤، تعقيبا على هذه النعمة العظيمة التي أنعمها الله على قريش، وجعل من حقّ شكرها أن يعبدوا رب هذا البيت ويفردوه سبحانه بالإجلال والتعظيم، فأمر قريشا بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرا لهم بنعمه أن جعلهم قوما تجارا ذوي أسفار في بلاد غير ذات زرع ولا ضرع، فلهم رحلتان رحلة إلى اليمن شتاء ورحلة إلى بلاد الشام صيفا، لا يخشون عاديا يعدو عليهم، وبأنه أمّنهم من المجاعات وأمّنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة وولاتها، وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة، وردَّ القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، وإذا كانوا يعرفون أن هذا كله بفضل رب هذا البيت، أفبالباطل من آلهتهم المزعومة يصدّقون، وبنعمة الله عليهم يجحدون![1].

(١) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، (٢/٤٥-٤٦)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠/٤٨٦)، والتفسير القرآني للقرآن، الخطيب، (١٥/١٦٨١-١٦٨٣).

المطلب الثالث: وجه اصطفاء الفريدة (قريش) في سياقها

في ضوء النظرة الكلية للسورة وسياقها العام والمعاني المعجمية للفريدة (قريش) تتبيّن الدلالات الآتية:

-تدور مادة (القَرْشُ) في المعاجم -كما سبق بيان ذلك في الدلالة المعجمية لها-حول معاني: الكسبُ، والجمعُ والضمّ من هنا وهنا بعد التفرُّق، والتداخل، والسعي بالآخرين والوقوع فيهم والوَشْي بهم، والتحريش، والتنزّه عن مدانِس الأمور، وأَخْذ الشيء أولا فأولا، والشدّة، والتفتيش، والمادة كلها كما يقول البقاعي: "للشدّة والاختلاط، والتعبير بهذا الاسم لمدحهم"(١).

- بيّن الله تعالى في السياق الواردة فيه الفريدة (قريش) منّته على قريش بجمعهم بعد فرقتهم وأمنهم بعد خوفهم وإطعامهم بعد جوعهم، وإنّ اصطفاء القرآن لهذه الفريدة في سياقها متّسق من دلالتها المرادة في أن قريش أنعم الله عليها فجحدت تلك النعم وكفرت وكذّبت رسالة النبي ﷺ على الرغم من أنّ أكثر قريش كانوا يعتقدون صحة نبوّته، ولكنهم لم يستجيبوا لما دُعُوا إليه في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾، وعليه فالسياق يقتضي استعمال الفريدة (قريش) دون غيرها من الألفاظ من مثل (عشيرتك أو أهلك أو قومك)، فهي لا تغني غناء الفريدة (قريش) في سياقها ولا تعادلها في دلالتها الخاصة على ما يأتي:

أ-نزلت هذه السورة في قريش ولم تنزل في أحد غيرهم وسمّيت باسمهم، وفي ذلك تفضيل من الله لقريش وتشريف لهم وامتنان عليهم بهذه النعم، فعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول اللهﷺ: "فضّل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم، ولا يعطاها أحد بعدهم: فضل الله قريشا أني منهم فإن

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٢٢/٢٦٢).

النبوة فيهم، وإن الحجابة فيهم، وإن السقاية فيهم، ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم تنزل في أحد غيرهم"(١)، ومعلوم أن قريشا موصوفون بهذه الصفات-كما يقول الرازي-: "لأنها تلي أمر الأمة"(٢)، مما جعلهم مؤهّلين لحمل هذه الرسالة.

ب-توحي الفريدة (قريش) في أحد معانيها المعجمية بمعنى الجمع، فقريش قد جمعوا نعما كثيرة فَنِعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لنعمة الإيلاف التي هي نعمة ظاهرة وكانت سببا جامعا لأهم النعم التي بها قوام بقائهم، وهذا هو وجه تعليل الأمر بتوحيدهم الله بخصوص نعمة هذا الإيلاف مع أن نعم الله عليهم كثيرة، ولذلك عرّف (ربّ) بإضافته إلى (هذا البيت) دون أن يقول: {فليعبدوا الله}؛ لما يومئ إليه لفظ (ربّ) من استحقاقه الإفراد بالعبادة دون شريك(٣).

ج-لا تدلّ الفريدة (قريش) على فرادتها في استعمال القرآن وحسب، بل تدلّ على تفرّد قبيلة قريش على سائر القبائل في ذلك الزمان بنعمة التآلف والغنى والأمن.

د-يقول البقاعي: "التعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلا ونحوه دال على أنهم يغلبون الناس أجمع بقوة كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة كما دل عليه ما فعل لأجلهم من قصة الفيل"(٤)، والحمس من (حمس)، والأحمس: المكان الصلب، والأحمس أيضا: الشديد الصُّلب في الدِينِ والقتال، والأحمس: الشجاع، وإنما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم؛ لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا في دينهم، فقد كانوا

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، حديث رقم ٤٠٩، (٢٤/٤٠٩). قال الألباني: حديث حسن، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، حديث رقم ١٩٤٤، (٤/٥٨٥).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٢/١٠٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠/٤٨٦-٤٩١).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٢٢/٢٥٩).

لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم(١).

هـ-توحي الفريدة (قريش) بما تدل عليه من معنى الكسب والغنى-كما سبق في المعنى المعجمي لها- بأنّ "مَنْ لم يكن مكفي الأمور لا يتفرغ إلى الطاعة، ولا تساعده القوة ولا القلب إلا عند السلامة بكل وجه"(٢)، ولذلك أغنى المولى سبحانه قريش وآمنهم من خوف ليتفرّغوا لعبادته.

يتبين من كل ما سبق أن الفريدة (قريش) متّسقة دلاليا في سياقها ولا يُغني غيرها من الألفاظ مما يقترب من دلالتها العامة غناءها في خصوصيّة دلالتها من مثل (عشيرتك أو أهلك) فغاية ما تدلّ عليه (عشيرتك أو أهلك) هو الدُّنوُّ في النَّسب، والقُربَى في الرَّحِم(٣)، فالفريدة (قريش) تصوّر حالة كفار قريش الاجتماعية والاقتصادية والأمنية كيف كانت ثم كيف أصبحت بعد منّة الله عليهم بالغنى والأمن، وتعكس نكرانهم وكفرهم بنعم الله تعالى، ومن أجل الإيحاء بهذا المعنى كاملا اقتضى السياق استعمال الفريدة (قريش) دون غيرها من الكلمات التي تشترك معها في الحقل الدلالي.

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٣/ ٩٢٠)، ولسان العرب، ابن منظور، (٦/ ٥٨).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، الناصري، (٦/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٨٠)، ولسان العرب، ابن منظور، (١/ ٦٦٥).

المطلب الرابع: وجه دلالة الفريدة (قريش) على اسم السورة

من خلال النظر في الوسائل العملية المعينة على معرفة مقصد السورة-والتي عُرِضت سابقا في المطلب الرابع من المبحث الأول-واستقراء آيات السورة يمكن القول: إنّ المقصد من سورة قريش هو الامتنان على قريش بنعمتيْ الإطعام والأمن وما يلزمهم تجاهها من عبادة الله تعالى وتوحيده، ومن الجدير بالذكر أنه لم تَبْقَ آية أو كلمة في سورة قريش بما فيها من دلالات لغوية وأساليب بلاغية إلا ولها دور في توضيح المقصد والدلالة عليه، ومما ساعد على الوصول إلى مقصد سورة قريش بشكل واضح ورود الفريدة (قريش) والتي كانت لها دلالات معجمية جعلتها متّسقة في سياقها بحيث لا يُغني غيرُها من الألفاظ غناءَها، وكانت بمثابة الغاية التي تهدف إليها السورة، والمحور الذي كانت تدور في فلكه كل معاني السورة، والمقصد في الحقيقة هو ما تهدي إليه معاني السورة وترجع إليه، ولعلّ هذا هو السرّ في تسمية السورة باسم هذه القبيلة، وعليه فقد أصبحت الفريدة (قريش) مترجِمة عن مقصودها، والمترجَم عن مقصود السورة هو من خصائص اسم السورة، فلا غرو إذن أن تُسمّى السورة بالفريدة (قريش).

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ الفريدة (قريش) لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة قريش مع وجود مواضع أخرى مشابهة لهذا السياق الذي يُدعى فيه كافرو النعم إلى شكر الله تعالى على نِعمه ولكنهم لا يستجيبون لنداء الله تعالى، سواء ما ورد في ذلك عن عامة الأمم الهالكة، أو عن أمم معينة كقصة أهل القرية الآمنة وقصة قارون، ولكن لم تُسَمَّ السور الواردة فيها هذه الأمم والأقوام بأسمائها، ولعلّ ذلك لمكانة قريش وفضلهم وشرفهم وكون هذه القبيلة هي ركيزة الدعوة ومهد الرسالة ومحورها، وقد خصّهم الله تعالى بالرسالة باصطفاء نبيّنا محمد ﷺ من بينهم، فأراد المولى سبحانه أن يحرّك فيهم وازع الشكر على هذه النعم، وأن يستجيش نفوسهم ويحرك عقولهم لتقابل النعمة بما تستوجبه من شكر الله تعالى وعبادته وحده،

وحتى يُبرز هذا المعنى وهذا المقصد ويقرّره في نفوسهم ونفوس الناس جميعا عَنون السورة وسمّاها باسمهم.

إنّ فرادة الكلمة (قريش) اسما للسورة تتناسب مع فرادة أخلاقهم وطباعهم وغرابتها، فكان الأصل بعد أن أنعم الله تعالى عليهم بكل هذه النِّعم وحَفَظ سيادتهم بحفظ الكعبة من الهدم أن يقابلوها بالإحسان ويشكروا المنعِم سبحانه ويؤمنوا برسالة نبيّه ﷺ ولكن ما حدث كان عكس ذلك تماما، فقد حاربوا النبي ﷺ بحجة كاذبة وهي أن النبي ﷺ جاء ليهدد سيادتهم فلذلك حاربوه، ولذا جاء عنوان السورة بهذا الاسم (قريش) فاضحا لحقيقة كفار قريش كافري النعم، وطبيعة علاقتهم العدائية للإسلام.

المطلب الخامس: دلالة الفريدة (قريش) على مقصد السورة الواردة فيها

إن الفريدة (قريش) تدلّ -كما سبق بيان ذلك-على حال قريش مع نِعم الله تعالى وجحودهم لها وتمنّعهم من الاستجابة لأمر الله لهم بعبادته وحده، وهذا في غاية المناسبة لمقصد السورة الذي تضمّن التركيز على الامتنان على قريش وما يلزمهم تجاه ذلك من عبادة الله تعالى وتوحيده بالربوبية[1]، وتهذيب النفس وتزكيتها وإصلاح الفكر، ورأس الأمر في ذلك كله صلاح الاعتقاد فهو مصدرها، وهو يزيل عن النفس عادة كفران النعمة وجحودها وعدم شكر مُنعِمها سبحانه، وقد أكّدت السورة على مقصد عبادة الله وتوحيده عن طريق حكاية حال قريش مع نِعم الله، وذلك أدعى لترسيخ هذا المقصد في قلوب العباد، وبذلك يحقق الصلاح الفردي، ورأسه صلاح الاعتقاد، ومن ثَمّ القيام بما أوجبه الله على هذه الأمة من إصلاحات متمثلة بالإصلاح الجماعي والعمراني والتي تبدأ من الإصلاح الفردي، وكأن الفريدة (قريش) خرجت من كونها مجرد اسم لقبيلة إلى دلالة خاصة تصبح فيها شعارا يرمز إلى دلالات متعددة، فهي من جهة رمز للشرك وكفران النعمة، وهي بذلك النموذج السلبي للمقصد الذي تركز عليه السورة، نموذج مَن يعطيه ربّه النعم فيكفرها، ومن جهة أخرى فهي رمز وشعار للمؤمنين ليحذروا من التشبّه بكفار قريش في كفرهم لنعم المولى سبحانه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠/٥٥٤)، والمختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ص٦٠٢.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج

-كشفت الدراسة عن ظاهرة الاتّساق الدلالي في اصطفاء فرائد أسماء السور داخل التركيب النحوي وملاءمتها للمعنى والسياق، ورصدت مبرّرات الاتّساق الدلالي لهذه الفرائد وأسرارها اللغوية والبيانية، وكشفت عن دلالتها على مقاصد السور، وبيّنت وجه دلالتها على اسم السورة الواردة فيها.

- يؤدي عنوان السورة وظيفتين، تتمثل الوظيفة الأولى في كونه مترجما ومُجلّيا عن مقصد السورة ومضامينها، فهو يساعد على فهم البنية العميقة لمقصد السورة ومضمونها، كما يساعد مقصد السورة في تعرية اسم السورة وبيان سرّ اصطفائه، وتتمثل الوظيفة الأخرى في استثارته لنفسية السامع واستحواذه عليها بما يمتلكه ويكتنزه من دلالات معجمية ومعنوية بحيث يختزل مضامين السورة وموضوعاتها ويحيل عليها.

- تفرّدت الفرائد الواردة أسماء للسور؛ لتفرّد موضع السورة والحدث المسوق فيها ومضمونها، بحيث يخدم ذلك مقصد السورة ويدلّ عليه.

- أصبحت السور ذات الاسم الفريد كالجوهرة النفيسة وكالدرّ الذي يفصل بين الذهب (باقي السور) في القلادة المفصّلة، فالدرّ (السور ذات الاسم الفريد) فيها فريدة، والذهب (باقي السور) مفرّدة.

ثانيا: التوصيات

الكشف عن أثر الفريدة في بناء الصورة البيانية في الآية القرآنية، والكشف عن جماليات الفريدة الفاصلة في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

- إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، حمص-سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق-بيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٥هـ.

- أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها دراسة تطبيقية على سورة مريم: توفيق بن علي مراد زبادي، مجلة تدبّر، السعودية، (٣)، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م، ١٤٠-٢٣٢.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي. د. ط، ١٤١٢هـ.

- بلاغة الفرائد القرآنية: سارة بنت نجر بن ساير العتيبي، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

- البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- التحرير والتنوير ﴿تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد﴾: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور (ت**١٣٩٣**هـ)، تونس: دار سحنون، د. ط، **١٩٩٧**م.

- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف أبو حيان (ت**٧٤٥**هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، د. ط، **١٤٢٠**هـ.

- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، القاهرة: دار الفكر العربي، ط**١**، **١٣٩٠**هـ-**١٩٧٠**م.

- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي (**١٣٧١**هـ)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط**١**، **١٣٦٥**هـ-**١٩٤٦**م.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت**١٤٣٦**هـ)، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط**٢**، **١٤١٨**هـ.

- التمكّن الدّلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم: محمد عبد الزهرة غافل، وشكيب غازي الحلفي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العراق، (**١٥**)، **١٤٣٣**هـ -**٢٠١٢**م، **١٩٥**-**٢٤٤**.

- جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت**٣١٠**هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر للطباعة والنشر، ط**١**، د. ت.

- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، د. ط، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة: حسن عباس، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٨م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر: دار هجر، د. ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، القاهرة: مطبعة المدني -جدة: دار المدني، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ١٤١٥هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط٢٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السعران، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٧م.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: يوسف الغوش، بيروت-لبنان: دار المعرفة، ط٤، ١٤٢٨هـ.

- غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خا، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط، ١٤٠٧هـ.

- الفرائد الحسان في عد آي القرآن: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت١٤٠٣هـ)، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٤هـ.

- لسان العرب: جمال الدين بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، عمان-الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- المحرر الوجيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية، الرياض: دار ابن حزم، د. ط، د. ت.

- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السّوَر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٧م.

- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت-لبنان: دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم والحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢ هـ.

- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م.

- من أساليب التعبير القرآني دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني: طالب محمد إسماعيل الزوبعي، بيروت: دار النهضة العربية، ط١، ١٩٩٦م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ط، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.